المنصور محمد بن عبد الله بن أبى عامر
فى المـــيزان

د٠ نورة محمد عبد العزيز التويجرى(*)

يعتز التاريخ الاسلامى بجناحه الغربى مثلما يعتز بجناحه الشرقى٠ ففى أقصى الطرف الغربى للدولة الاسلامية ، قامت للمســـلمين دولة فى شبه جزيرة أيبريا ــ هى دولة الأندلس ــ فدر لها أن تنهض بدور خالد فى ميادين السياسة والحرب والجهاد من ناحية ، وفى ميادين الحضارة بمختلف آفاقها ومظاهرها من ناحية أخرى ٠ وفى تتبعنا لهذا النشاط المتعدد الأوجه نصادف شخصيات فذة خلـــدت اسماءها فى التاريخ ، ومازالت جديرة بالمزيد من عناية الباحثين ، لالقاء الأضواء على جوانبها، وكشف ما خفى من بطولاتها واسهاماتها الحقيقية ، أو للحكم عليها حكما أمينا صادقا يزيح عنها ما قد تكون قد تعرضت له من غبن أو نكران ٠

ومن هذه الشخصيات المنصور محمد بن عبد اللـــه بن أبى عامر المعافرى ، الذى قام بالوصاية على هشام المؤيد عقب وفاة أبيه الحـــكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) ٠ وقد أثبت المنصـــور محمد أنه سياسى بارع ومحارب شجاع ، بذل الكثير دفاعا عن دولة الاسلام فى الأندلس وحفاظا على كيان المسلمين فى تلك البـــلاد البعيدة عن قلـــب الدولة الاسلامية فى الشرق ؛ ومع ذلك لم يلق المنصـــور التقـــدير الكافى من معاصرية وكثير من المؤرخين ، فغلبوا الزلات على الحسنات ، وأغفل بعضهم حقه ولم يذكروا الا أخطاءه ٠ بل ان البغض تجنى عليه ، وأطلقوا عليه من الصفات ما يتنافى مع الواقع والحقيقة ، فوصـــفوه بالاحتيال والخيانة ٠ ومن المحدثين من وصـــفه بالدكتاتورية ووصـــف عهـــده بالدكتاتورية العـــامرية ، ولم يروا فيـــه الا الطمع والاستبداد ، بل الوصولية والممارسات اللاأخلاقية ٠

(*) كلية التربية ــ الرئاسة العامة لتعليم البنات ــ الرياض ٠

ولكن فى ضوء الكثير من المصادر والمراجع التى رجعت اليها والتى تهتم بالتاريخ الأندلسى فى تلك الحقبة الزمنية التى عاصرها المنصور وما حفلت به من أحداث كان للمنصور محمد بن أبى عامر ذكر فيها ، تبلورت أمامى هذه الشخصية فى ضوء طبيعة العصر وأجوائه وظروفه ، واتضحت جهود هذا الرجل التى لا تنكر فى الحفاظ على الاسلام ودولته فى الأندلس • وكان أن رأيت مـــن الانصاف أن نضع هـــذه الشخصية التاريخية فى الميزان ، لنواجه من نظروا اليها من جانب واحد فقط ، متجاهلين ما لها من جوانب مضيئة فى التاريخ الاسلامى بصفة عامة وفى التاريخ الأندلسى الاسلامى بصفة خاصة • وبعبارة أخرى فاننى فى هدا البحث أقف أمام هذه الشـخصية محاولة الرد على المتحاملين عليها ، والذين نظروا اليها من جانب واحد مظلم وأهملوا جانبها المضيىء •

ذلك أنه من الأمانة العلمية ألا نغمط هذا الرجل حقه ، وألا نتجاهل ما قام به من أعمال أدخلت الفزع والرعب فى قلوب أعداء الدولة الاسلامية فى الأندلس•وحسبه ان وفاته أحدثت موجة من الفرح والسرور فى الأوساط الأســـبانية حتى أن الحوليات اللاتينية التى كانت تدون فى الـكنائس والأديرة اهتمت بتسجيل تاريخ موته ، وعبرت عن ذلك بقولها :

« وفى سنة ١٠٠٢م توفى المنصور ، وذهب الى الجحيم » •ويكفى هذا الاحساس من جانب الخصوم والأعداء ليضفى عليه أهمية فى نظر الأهل والأصدقاء •

★ ★ ★

شخصية المنصور محمد بن أبى عامر :

أما عن المنصـور فهو أبو عامر محمد بن عبد اللـه بن محمـد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى ، من قبيلة معافر اليمنية احدى قبائل حمير(١) قدم جده عبد الملك الى الأندلس ، وكان من أوائل الداخلين تلك البلاد مع الجيوش الاسـلامية الفاتحة ، واتخذ من الجزيرة الخضراء مسـتقرا له حيث حصـــل على اقطاعات كبيرة فى بلدة طرش Torrox (٢) مكافأة له ، لما أظهره

من شجاعة وبسالة فى المعارك ، التى خاضها فى الفتح الاسلامى لبلاد الأندلس • وفى تلك القرية ـ قرية طرش ـ ولد المنصـــور محمد سنة ٣٢٨ هـ •

أما والده عبد الله المكنى بأبى حفص فكان من أهل الدين والزهد فى الدنيا والعزوف عن السلطان • وقد سمع الحديث ، وقام بأداء فريضة الحج ، وتوفى بمدينة طرابلس الغرب بليبيا عندما كان عائدا من الحج•

وكانت أمه بريهة بنت يحيى بن زكريا من قبيـلـة تميم المعروفين ببنى ترطال(٣) • تلقى محمد بن أبى عامر تعليمه فى جامع قرطبة ، وكان حسن النشأة مغرما بالتعلم ينصف بالذكاء والنجابة ، أحـــب علم التاريخ ، واهتم بقراءته،والتحق بالقضاء فى بداية حياته ، وقرأ اللغة والأدب على معلميه أبى على القالى وأبى بـكر بن القـــوطية ، ودرس الحديث على يد أستاذه أبى بكر بن معاوية القرشى(٤) • وكان ينظر الى المستقبل نظرة المتفائل مؤمنا بأنه سيكون له دور مهم على مسرح الحوادث • يحكى أنه فى حديثه مع بعض زملائه عن المستقبل قال لهم : لابد لى أن أملك الأندلس ، واقود العسكر وانفذ حكمى فيها(٥) •

وقد تغنى عدد من الشعراء به مشيدين بشجاعته وبطولاته ، وحسن نسبه ، منهم الشاعر ابو عمر أحمد ابن محمد بن دراج المعروف بالقسطلى حيث قال فيه :

تلاقت عليـه من تميم ويعـــرب شـموس تلألأ فى العـــلا ويدور
مـن الحميريين الذين أكفـــهم سحائب تندى بالندى وبحور(٦)

ولقد تولى محمد بن أبى عامر عـــدة مناصب فى الدولة الأمويه بالأندلس • ذكرت بعض المصادر التاريخية أن كل منصب تولاه كانت تسانده فيه الأميرة (صبح) زوجة الخليفة الحكم المستنصر ، وأم الخليفة هشام المؤيد • وكان أول منصب تولاه عندما عين وكيلا لخدمة الأميرة (صبح) وولديها عبد الرحمن وهشـــام ، ثم تولى ادارة أموال وضياع الأميرة صبح ، ثم شؤون الخزانة العامة لأموال الدولة ، وبعدها تولى

خطة المواريث ثم قضاء اشبيلية(٧) وليلة وأعمالهما ثم أمينا لدار السكة، ثم وكيلا للخليفة هشام المؤيد ٠ وقد أسند اليه الخليفة الحكم المستنصر كثيرا من المهام السياسية ؛ وذلك لما لاحظه عليه من الذكاء والفطنة ، كما كان محل ثقة وتقدير الخليفة الحكم ، حيث أرسل معه كمية كبيرة من الأموال والهدايا الى البربر لينضموا الى جانبه ٠

وهكذا استطاع محمد بن أبى عامر بما أوتى من ذكاء وفطنة أن يصل الى أعلى وظائف الدولة فى قصر الخلافة وذلك خلال مدة قصيرة، لا تتجاوز عدة أعوام ، كما استطاع أن يصل الى الملك بالرغم من انه لم يكن من أسرة مالكة ، وهذا ما ذكره عن نفسه ٠

وقد اختلفت الروايات التاريخية حول كيفية اتصال محمد بن أبى عامر بالخليفة المستنصر وزوجته صبح حتى استطاع أن يصل الى حكم بلاد الأندلس ، فبينما يذكر المقرى أن اتصاله بهما تم عندما طلبت الأميرة صبح مديرا لأموالها فذكر لها عدد من فتيان القصر محمد بن أبى عامر الذى كان يملك دكانا صغيرا مقابل قصر الخلافة ، حيث كان يكتب الشكاوى والمعاريض للناس ، ومن يريدون الدخول الى الخليفة الحكم المستنصر ، فاستحسنت أسلوبه وعينته أمينا لبعض أمورها الخاصة(٨)٠

ولم يلبث أن استطاع أن يستحوذ على اعجاب زوجات الخليفة الحكم المستنصر بفضل لباقته وحسن معاملته وعطائه ، فلفت ذلك انتباه الخليفة الحكم المستنصر فدخله الشك حيث قال لأحد من يثق بهم من رجاله «مالذى استلطف هذا الفتى ؟ حرمنا حنى ملك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن ، حتى صرن لا يضعن الا هداياه ولا يرضين الا ما آتاه ٠ انه لساحر عظيم ، أو خادم لبيب ، وانى خائف على ما بيده »(٩) ٠

وكان أن دفع هذا الشك أحد خصوم محمد بن أبى عامر الى اتهامه أمام الحكم المستنصر بأنه مسرف فى أموال الدولة ، مبدد لها ، ينفقها فى سبيل مصالحه الشخصية ، وتكوين الأنصار والمؤيدين له ٠ وعندئذ تأكد شك الخليفة المستنصر فيه ، وطلب منه أن يقدم له حساب الخزانة

العامة لأموال الدولة التى كان المســـئول الأول عنها . وكانت الخزانة تعانى عندئذ عجزا كبيرا فيها ، مما دفع المنصور أن يلجأ الى أحـــد المقربين له ، وهو الوزير (ابن حدير) وكان مشهورا بثرائه ، فاخذ منه المنصور المال الكافى الذى استطاع به أن يغطى هذا العجز فى خزينة الدولة ، فزالت شكوك الخليفة فيه ، وازدادت ثقته به .

وهناك رواية أخرى تذكر كيفية اتصال محمد بن أبى عامر بالخليفة الحكم المستنصر ، أوردها ابن بسام حيث يذكـــــر أن ذلك الاتصال تم عندما كان الخليفة الحكم المستنصر يريد ان يعين مشرفا لادارة أملاك ابنه عبد الرحمن . فأسند هذه المهمة لمحمد ابن أبى عامر بناء على ترشيح الوزير جعفر بن عثمان المصحفى له . ثم أخذ محمد بن أبى عامر يتقلب فى مناصب الدولة ، بفضل وقوف الأميرة صبح وراءه فى كـــل منصب يتولاه مسأندة ودافعة له .

وتذكر بعض المصادر أن من ضمن المناصب التى تولاها محمد بن أبى عامر صاحب الشرطة الوسطى فى عهد الحكم المستنصر سنة ٣٦١هـ، ثم قاضى العدوة ، وخطة المواريث(١٠) .

كذلك قام بمهام سياسية بتكليف من الخليفة الحكم المستنصر ، ومن هذه المهام أن الخليفة المستنصر جعله يرأس الوفد المكلف باستقبال يحيى ابن على بن حمدون أحد أمراء بنى خزر من أمراء قبيلة زناتة البربرية، وهم ممن استعان بهم الخليفة الحكم للقضاء على الدولة الفاطمية ببلاد المغـــرب .

وهكذا أخذ شأن المنصور محمد بن أبى عامر يعلو ويثبت فى الدولة الأموية فى الأندلس بعد أن تولى الاشراف على تربية الأمير هشـــام بن الحكم المستنصر ، وذلك بتكليف من والده الخليفة الحكم ، كما أسند اليه مهمة تنظيم البيعة بولاية العهد لابنه القاصر (هشـــام المؤيد) . وقد مكنه ذلك من الاستيلاء على السلطة فى الأندلس بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر .

وكانت له جهود فى الحفاظ على منصب الخلافة للخليفة هشام بن الحكم المستنصر ، وذلك بعد أن قام باحباط المؤامرة التى كان يخطط لها الفتيان الصقالبة،صاحب البردةوالطراز فائق وجؤذر صاحب الصاغة، واستهدفت هذه المؤامرة خلع الخليفة هشـــام وتولية عمـــه المغيرة بن عبد الرحمن ، بشرط أن يعهد المغيرة للخليفة هشام بولايةالعهد من بعده.

المميزات العامة لشخصية المنصور بن أبى عامر :

وفى دراستنا لشخصية المنصور محمد بن أبى عامر يتضح لنـــا أن أهم ما كان يميز هذه الشخصية ذكاؤه وفطنته وقـــدرته على تصريف الأمور ومواجهة المصاعب ، هذا فضلا عن أن طموحاته الشخصية كانت لا تعرف حدا . وكثيرا ما كان يعبر عن طموحاته فى حديثه مع أصحابه ، فيدفعهم ذلك للاستهزاء به والسخرية منه .

ولكنه كان يصر علىموقفه مخاطبا اياهم بقوله : تمنوا على ،فتمنى كل منهم أمنية خاصة به الا صديقه موسى بن عزورن ، فقد استبعد حدوث ذلك الشىء ، فقال ساخرا له : اذا أمضى اليك الأمر يا صاحبى فأمر أن يطاف بى فى قرطبة على حمار ووجهى الى الذنب ، وأنا مطلى بالعسل ليجمع على الذباب(١١) .

كذلك امتاز المنصور بمميزات أعلت من قدره ورفعت من شأنه . فالمتتبع للأحداث التى جاء فيها ذكر المنصور بن أبى عامر أثناء حكمه يدرك تماما أنه لم يكن ذلك الرجل المتعسف الظالم ، بل انه حرص كل الحرص على أن ينشر العدل ؛ دون أن يعمل حسابا للفروق الاجتماعية. كما كان حريصا علىأن يشمل عدلهالعامة والخاصة ؛ من ذلك أن رجلا من العامة تقدم اليه فى مجلسه فشـــكا اليه مماطلة القاضى عبد الرحمن بن فطيس فى قضية بينه وبين أحد فتيانه صاحب الدرقة(١٢) وذلك لمكانة صاحب الدرقة فى بلاط المنصور ، فما كان من المنصور محمد بن أبى عامر ، الا أن أنكر على القاضى عبد الرحمن بن فطيس تصرفه هذا ، وعجزه وتهاونه فى الحسم فى هذه القضية بقوله : ما أعظم بليتنا من هذه الحاشية ؟ ، ثم نظر الى الفتى الصـــقلبى وطلب منـــه أن يدفع

«الدرقة» الى أحد رجاله ، وأن ينزل صاغرا الى مقام خصمه حتى يرفع الحق بينهما(١٣) ٠

وقد عرف المنصور من قبل رعيته بالعدل والانصاف ، بحيث كان كل من شعر باغفال ، أو هضم لحقه يحاول أن يوصل شكواه الى المنصور بن أبى عامر فلا يخذله ، ويأخذ الحق له ٠ وقد حكى عن أحـــد تجار المغرب أنه جرت بينه وبين أكبر خدم المنصور والمشرف على داره ويدعى (البورقى) خصومة وجب فيها اليمين على (البورقى) ، فدافع عنـــد الحكم ؛ ظنا منه أن منصب (البورقى) وجاهه عند المنصور لايستدعى استحلافه ٠ فما كان من التاجر الا أن وقف للمنصور بن أبى عامر وهو فى طريقه للمسجد الجامع لتأدية الصلاة فيه ، وطلب منه انصافه من هذا التاجر ، فطلب المنصور أن تحال قضية التاجر المغربى للحاكم لينظـــر فيها ، كما أمر أن يعزل خـــادمه (البورقى) من الخـــدمة ونفاه الى الأندلس(١٤) ٠

وكان من الأشياء التى تشغل بال المنصور ، ويصرف اليها جل وقته اهتمامه بتوفير الأمن والطمأنينة لرعيته ولدولته ، فكان دائم السهر على مصلحتها ٠ وقد أنكر عليه أحد خدمه الملازمين له طول سهره ، وطلب منه أن يأخذ قسطا من الراحة ، فما كان رد المنصور عليه الا أن قال له : حارس الدنيا لا ينام اذا ما نامت الرعية ، ولو استوفيت نومى لمـــا كان فى هذا البلد عين نائمة ٠٠٠ »(١٥) ٠

وهكذا جمع المنصور بين سياسة العدل والسهر على مصالح الرعية ، وسياسة الحزم والعزم واليقظة ــ اذا ما استدعت الأمور ذلك ٠ كل ذلك مع حسن معاملة الرعية والحرص على اكرامهم ، وبذلك كسب محبتهم له واقبالهم عليه(١٦) ٠

ولعل ما ذكره عنه ابن عذراى لأوضح دليل على ذلك ، اذ يقول « احتاج الناس اليه ، وغشوا بابه فاسألهم ، وبلغ الغاية من أصحاب السلطان معه سعة صدر ، وكرم لقاء ، وسهولة حجاب ، وحسن أخلاق، فعرف جاهه ، وعمر بابه »(١٧) ٠

كذلك كان المنصور محبا للعفو مشجعا عليه . من ذلك أن أحد فتيان قرطبة وهو من أهل الأدب كان فى شىء من العـــوز والحاجة ، فاشـــتغل فى خـــزانة الدولة فامتدت يده الى بعض المـــال فأخـــذ مبلغ ثلاثة آلاف دينار ، فبلغ أمـــره المنصور محمـــد بن أبى عامر ، فاستدعاه واستجوبه فيما نسب اليـــه ، فاعترف الفتى بذلك .. فأمر المنصور بحبسه والتشديد عليه . فأنشد الفتى أبياتا قال فيها :

أواه أواه وكـــــم ذا أرى أكـــثر مـــن تذكـــار اواه
ما لامـــرىء حـــول ولا قوة الحـــــول والقـــوة للـــه

فلما سمع بها المنصور بن أبى عامر ، طلب احضار الفتى اليـــه وسأله بقوله : أتمثلت أم قلت ... فقال الفتى : بل قلت . فعفا عنـــه المنصور ثم أنشد الفتى هذه الأبيات :

امـــا تـــرى عفو ابن عامر لابـــد أن تتبعـــــه منـــــه
كـــذلك اللـــــه اذا ما عفـــا عن عبده أدخله الجنـــة(١٨)

فلما سمع المنصور بذلك ، أمر بالعفو عنه ، وكافاه بالمال .

وكان المنصور شديد المخافة من الله ومن عقابه ، فكانت تعرض عليه أسماء من طالت مدة سجنهم للنظر فيهم والعفو عنهم . وكان من ضمن هذه الأسماء اسم لأحد خدامه ، كان قد غضب عليه المنصور فأمر بحبسه ، ووضع تحت اسمه : لا سبيل فى اطلاقه حتى يلحق بامه الهاوية. فعرف الرجل السجين بما تم فى شأنه ، فأخـــذ يدعو ربه ويناجيه ، فاصاب المنصور القلق والأرق فى نومه ، حيث كان يأتيه عند نومه شخص عنيف ليطلب منه اطلاق سراح الرجل ويتوعده على حبسه . فما كان من المنصور الا أن أمر باطلاق سراحه فى كتاب قال فيه « هذا طليق اللـــه على رغم أنف ابن أبى عامر »(١٩) .

كذلك كان للمنصور هيبة فى جنده ورجاله لم يؤتها ملك قبله ، فكان مكان الاحتفال الذى يحضره المنصور بن أبى عامر يعمه الصمت

والسكون والاطراق ، حتى ان الخيل تمتثل لانصات فرسانها ، فلا تكثر الصهيل أو الهمهة(٢٠) ٠

ولعل ما أورده خلف بن حيان والد الامام ابى مروان حيان بن خلف من حادثة تبين مدى ما كان عليه المنصور من هيبة واحـــترام فى نفوس رجاله وحاشيته ، وما كان عليه من تواضع ورفق بالرعية ٠ ذكر ابن حيان أن المنصور قد لاحظ عليه حالة الفزع والهيبـــة من سلطانه ، فاستدعاه عندما فرغ مجلسه من الحضور ، وسأله عـــن سبب فزعه ، واستنكر ذلك عليه بقوله : من وثق باللـــه برىء من الخون والقوة،وانما أنا آلة من آلات الله تعالى أتصرف بمشيئته وأسطو بقدرته ، واعفو عن اذنه ، ولا أملك لنفسى الا ما أملك لى ، فأزل عنك روعك ، فانما أنا ابن امرأة من تميم ، طالما تقوتت بثمن غزلهـا ، ثم جاء من اللـــه تعالى ما تراه(٢١) ٠

وكان المنصور يتصف بالعطف والرحمة على أفراد رعيته ٠ هـذا ما أورده المقرى عنه فى حادثة يذكر فيها : أنه بينما كان المنصور عائدا من أحد غزواته على مملكة نبرة النصرانية ، لقيته امرأة وشكت اليه ان لها ابنا أسيرا فى بلاد الافرنج وعرفته باسم تلك البـــلاد ، فما كان من المنصور الا أن طمأنها وقام بفتح تلك البلاد وأطلق من فيهـــا من أسرى المسلمين(٢٢)

وهكذا كان المنصور رجلا حازما قويا ، مما مكنه من ضبط الأمور الداخلية فى دولته حتى جعل منها دولة قوية صامدة ، بالرغم من الأوضاع السياسية المضطربة التى أوشكت أن تعصف بها عندما ولى أمورها ٠ وقد عبر ابن عذارى عن ذلك بقوله : « فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها انافة ٠٠ وساس الامور أحسن سياسة ، وداس الخطوب أخشن دياسة٠ واستشعر اليمن كل فريق ، وملك الأندلس نصفا وعشرين ، ولم تدحض سعادتها حجة ، ولم تزخـــر المكروه بها لجه ، لبســـت فيها البهـــاء والاشراق»(٢٣) ٠

كذلك كان المنصور شديد الخشية من الله والرغبة فيما عنده ، يتبين

ذلك من قوله لابن حيان فى احدى مخاطباته له « يا ابن حيان ، ان أفضل الناس غرسا من غرس الخير ، وان أفضل السلطان غرسا ما أثمر فى الآخرة . ومن أنا من الله تعالى لولا عطفى على المستضعف المظلوم، وقصمى للجبار المغشوم اللاهى عن حقوق ربه بفسوقه ودنسه »(٢٤) .

وحسب المنصور قول عبد الله بن بلكين آخـــر ملوك بنى زيرى بغرناطة عنه :(٢٥)

« وكان ـ المنصور ـ بالرغم من أعباء الحكم ، وكثرة غـــزواته ، واتصال جهاده محبا للعلم ، شغوفا بالأدب ، مقدرا من ينسب اليهما ويفد عليه . وكان دقيقا فى اختيـار هؤلاء الشـــعراء والتمييز بين قدراتهم الشعرية » .

★ ★ ★

أما أهم ما يميز سياسة المنصور محمد الخارجية والحربية ، فكان جهاده الصادق للحد من أطماع القوى المسيحية فى الممتلكات الاسلامية فى شمال الأندلس . وقد انطلقت سياسة المنصور محمد بن أبى عامر العسكرية من خطة محددة ذات أبعاد واضحة استهدفت ســـحق القوى العسكرية للممالك النصرانية واخضاع سادتها ، ولم يكن الهدف من حروبه التى شنها على القوى المسيحية فى الشمال ـ كما قال بعض المغرضين طريقا للوصول الى قلوب جماهير المسلمين فى أسبانيا ووسيلة لدعم طموحاته السياسية(٢٦) . ذلك أن المنصور استطاع فعلا أن يحول بين النصارى وأطماعهم فى بلاد المسلمين ، اذ لم تقتصر جهوده على رد هجماتهم على الدولة الاسلامية فى الأندلس ، بل امتـــدت الى الفتح والتوسع فى بلادهم الواقعة شمال الأندلس وبذلك أصبح قوة يخشـــاها ملوك تلك البلاد مما أثار الفزع فى قلوبهم .

ثم انه عمل على نشر الاسلام فى البلاد التى غزاها ، ويقال انه كان يغزو فى السنة مرتين احداهما فى الصيف وتعرف بالصائفة والثانية فى الشتاء وتعرف بالشاتية . وأدت هـــذه الغزوات الى استنزاف قوة

النصارى ، وشل حركتهم التوسعية ؛ مما دفع كثـــيرا من الشـعراء الى التغنى ببطولته(٢٧) ٠

وقد تباينت المصادر فى ذكر عدد غزوات المنصور لبلاد النصارى ، فمنهم من ذكر أنها خمسون غزوة ٠ ومنهم من ذكر أنها اثنتان وخمسون غزوة ٠ وقيل : أربع غزوات وقيل سبع غزوات٠ وقد ذكر ابن خلدون بأنها اثنتان وخمسون غزوة كلها تمت تحت قيادته ٠ وفى ذلك يقول ابن خلدون « ورد الغزو بنفسه الى دار الحرب ، فغزا اثنتين وخمسين غزوة فى سائر أيام ملكه ، لم ينكسر له فيها راية ، ولا غل له جيش ، ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية»(٢٨) ٠

وكا نمن الطبيعى أن يهتم المنصور بتقوية الجيوش الاســـلامية فى الأندلس ؛ لتستطيع مواجهة الأعداء ، فعمل على دعم جيشه وتجهيزه بكل المستلزمات الحربية٠وزاد من عدد الجيش ، ورتب للجند معاشات شـهرية مجزية ، لتشجعهم على مواصلة الجهـــاد ، كما كان يصرف للجنود مكافآت مغرية بعد كل غزوة أو سرية ، يتحقق له فيها النصر ٠ ولاشك فى أن سياسة المنصور الحربية ودأبه على مواصلة حركة الجهاد ، أدت الى زعزعة كيان الممالك النصرانية شمال الأندلس حتى بلغت فى عهد المنصور درجة شديدة منالتمزق والضعف،ولم يقبل المنصور من أعداء الاسلام صلحا ولا مهادنة ، مما جعل القوى المســـيحية تلجأ الى تغيير خططها العسكرية ، فتحولت من الهجوم على الممتلكات الاسلامية الى الدفاع لمواجهة قوة المنصور العسكريه الساحقة ٠

ومن أشهر حروب المنصور محمد ، تصديه لاطماع الملك (ردمير الثالث) ٣٥٥ ـ ٣٧٢هـ/٩٦٦ ـ ٩٨٢م ملك ليون الذى حاول الهجوم على الممتلكات الاسلامية مستغلا صغر سن الخليفة هشام المؤيد ٠ فقام بالهجوم على قلعة (رباح) وهى احدى الكور الاسلامية المهمة ؛ وساعد فى هـذا الهجوم أهالى امارة فشتالة فعاثوا فى بلاد المسلمين فسادا وتخريبا مما دفعهم الى الاستنجاد بالحاجب جعفر المصحفى القائم على دولة الأندلس فى بداية عهد الخليفة هشام المؤيد ٠ وعندما رأى المنصور محمد تقاعس

الحاجب المصحفى عن حماية بلاد المسلمين ، أعد جيشا خرج به من قرطبة فى الثالث من شهر رجب سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م ٠ قاصدا أراضى ليون وقشتالة(٢٩) فحاصر حصن (الحامة) فى جليقية ، وأنزل بأهله هزيمة فادحة ، وقام بفتح الربض التابع له ، والذى تم بناؤه على يد الملك ردمير الثالث(٣٠) وعاد الى قرطبة منتصرا(٣١) ٠ ثم قام بحملة أخرى انطلقت من مدينة طليطلة وتمكن بها من فتح كثير من الحصون النصرانية ٠ كذلك تمكن المنصور من فتح مدينة شلمنقة الواقعة جنوب غرب مملكة ليون٠ومن غزوات المنصور المهمة غزوه مملكة ليون ، لمعاقبة ملكها ردمير الثالث فتمكن من هزيمته وقام بهدم مملكته واستباحها لجنده ٠

ومن أهم غزوات المنصور تلك الغزوة التى عرفت باسم (اوشت ياقب) ـ أى القديس يعقوب ـ وهى عاصمة اقليم (جليقية) فى الشمال٠ وقد اشتهرت هذه المدينة بانها من أعظم معالم اسبانيا ؛ لمكانتها الدينية التاريخية ، كما تعتبر من أمنع معاقل اسبانيا النصرانية وأشدها صعوبة لموقعها الجبلى الوعر الذى حال دون وصول المسلمين الفاتحين اليها٠ ولم يفكر أحد هؤلاء الفاتحين قبل المنصور بن أبى عامر فى اقتحامها ، حتى غزاها المنصور بن أبى عامر ٣٨٧هـ/٩٩٧م على رأس جيش وبمعاونة الأسطول البحرى ، وتمكن من اقتحامها(٣٢) ٠

وكان لانتصار المنصور فى هذه الحملة صدى واسع ، وفرحة كبيرة فى نفوس المسلمين فى الأندلس ، وأشاد ابن دراج القسطلى بهذه الحادثة التاريخية بقوله(٣٣) :

ووقفت دون الدير فيها وقفة ... كانت لنصر الله فيها موعدا
وبرأى عينى يوم خضت لقتحها ... بحرا من البيض الصوارم مزبدا

وبعد أن غزا المنصور مملكة ليون تطلع لغزو بقية الوحدات المسيحية فى شمال شبه الجزيرة ، فقام بغزو امارة قشتالة سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م ؛ وذلك لمواجهة الحلف العسكرى النصرانى الذى نظمه أميرها (سانشو غرسيه) ، والذى كان يضم عددا من ملوك النصرانية ٠ وقد واصل فتوحاته فى أراضى قشتالة الى أن وصل الى عاصمتها (برغش) سنة

٣٩٠هـ/١٠٠٠م ٠ وفى هذه الغزوة أظهر المنصور وجنده روحا عالية ، وخاصة بعد أن اهتز بعضهم أمام ضخامة جيش العدو وفكروا فى الفرار ، لولا أن من الله على المسلمين بالنصر وعندئذ وجه المنصـــور الى جنوده وقواده بيانا عسكريا قال فيه : « وكثيرا ما فرط من قولكم أنكم تجهلون قتال المعاقل والحصون ، وتشتاقون ملاقاة الرجال الفحول ، فحين جاءكم شاغبة بالأمنة وقائلكم بالشريطة انكرتم ما عرضتم ونافذتم حتى فررتم فرار اليعافير(٣٤) من أسار(٣٥) الفيل ، واجفلتم اجفال الرئال(٣٦) من المقتصين ٠ ولولا رجال منكم دحصوا عنكم العار ، وحرروا رقابكم من الذل ، لبرئت من جماعتكم وشملت بالموجـــود كافتكم ، وخرجت للامام والأمة من عهدتكم ونعمت المسلمون فى الاستبدال بكم ، ولم أعدم من الله تعالى عاجل نصر ، وحسن عقبى ٠ فلابد أن ينصر دينه بمن شاء»(٣٧) وقد كان الشاعر ابن دراج شاهدا أيضا هذه الوقعة حيث تمثل فيها هذه الأبيات :

ان تفخـــر الدنيا فانت فخارها أو تختر العليا فأنت خيـــارها
وعدا علىالله حقا نصر من نصره وحكم سيفك فى هامات من كفر

الى أن يقول :

هلال بنور السعد والحق مقمــر أهل على الاسلام الله أكبر(٣٨)

ومن الجوانب المضيئة فى حياة المنصور انه استطاع أن يشمل بلاد المغرب بنفوذه ، بغرض القضاء على النفوذ الفاطمى ، وبذلك استطاع أن يوسع نفوذ الدولة الأموية بالأندلس حتى غدا يضم مراكش كلها بما فيها مدينة (فاس) ، ولا شك فى ان المنصور استغل اضطراب الأحوال السياسية فى منطقة الشمال الافريقى ، وذلك بعد ان نقل المعز لدين الله الفاطمى مقر الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الى مصر ٠ وقد استطاع المنصـــور محمد بحنكته السياسية وحسن معالجته للأمور ان يكسب محبة وموالاة معظم أهل المغرب البربر الزيانية فأحبوه ، وتفانوا فى طاعته(٣٩) ٠

ولا شك فى ان المنصور أحس بالزهو والفخر بعد أن حقق هذا القدر من الانتصارات فى سبيل الدفاع عن الدولة الاسلامية فى الأندلس والحفاظ عليها • وقد عبر عن ذلك ببعض الأبيا تالشعرية ، التى يقول فيها :

ألم ترنى بعت الاقـــامة بالســرى
ولين الحشـــايا بالخيول الضوامر ؟
تبدلت بعـــد الزعفـــران وطيبـــه
صدا الدرع من مستحكمات المســامر
اروني فتى يحمــى حمــاى وموقفى
اذا اشــتجر الأقــران بين العســاكر
أنا الحاجب المنصـــور من آل عامر
بسيفى اقـــد الهام تحـــت المغافر
فلا تحسبوا أنى شـــغلت بغـــيركم
ولكن عهدت الله فى قتل كافر(٤٠)

وبالاضافة الى شجاعته فى ميدان الحرب ، كان المنصـــور سياسيا محنكا استطاع أن يكسب بسياسته احترام أعدائه فى نفوسهم ، مما دفــع كثيرا منهم الى التقرب منه ، ومحاولة كسب وده فعقدوا الصـــلح معه ، وأرسلوا السفارات لكسب صداقته • ومنهم على سبيل المثل : شانجه بن غرسيه حاكم امارة (ناڤار) • وعندما قام شانجه بن غرسيه بنقض الصلح مع المنصور قام المنصور بعدة هجمات على امارته ، وعندئذ اسرع الملك النصرانى (شانجه) باعلان طاعته للمنصور وتجديد العهد معه ، بل لقد اهدى ابنته له ، فتزوجها المنصور ، وأنجبت منه ابنه (عبدالرحمن)الذى عرف باسم (شنجول) تصغيرا لجده لأمه •

وهكذا توالت على بلاط المنصور سفارات متعـــددة من قبل ملوك النصارى فى الشمال معلنة ولاءها له • ومن بين هـــذه السفارات تلك السفارة التى كانت برئاسة ولى عهد امارة قشتالة ، وكان موفدا من قبل أبيه غرسيه •

كذلك كان من بين السفارات التى قدمت على بلاط المنصور ســـعيا

لكسب صداقته وحسن رضائه تلك السفارة التى كانت برئاسة الأمير « غنر شلب » ابن شانجه بن غرسيه (ملك ناڤار) الى المنصور ، وكان ذلك عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م وقد أشاد بها ابن دراج بقوله :

ورمى «ابن شنج» اليك نفس محكم
نهج الخضوع لها سبيل رشادها

الى أن يقول :

مستنجد منه مذلة خاضع
غنم الحياة أبوه باستنجادها(٤١)

وفى الداخل حكم المنصور البلاد بحزم ،فتصدى لكل حركةاستهدفت اثارة البلبلة والشغب فى الدولة لتحقيق أطماع خاصة بها . ومن هذه الحركات حركة زيرى بن عطية الذى أعلن الثورة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٧م على المنصور ، متهما اياه باغتصاب الحكم من الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر . فدخل فى حرب مع المنصور بن أبى عامر ، ولكن المنصور تمكن من انزال هزيمة نكراء به سنة ٣٨٨هـ/٩٨٨م .

اصلاحات المنصور ومنجزاته الداخلية :

(أ) منشآت المنصور العمرانية :

لم تقتصر الجوانب المضيئة فى حياة المنصور على الجانب الحربى فقط ، بل شملت أعمال المنشآت العمرانية فى البلاد الأندلسية . ومن أجل أعماله توسعاته الكبيرة فى المسجد الجامع بقرطبة سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م . وذلك حين لاحظ أن المسجد بدأ يضيق بالمصلين ، فقام بشراء الدور المحيطة بالمسجد من أصحابها ، وأمر بهدمها ، وأدخل أراضيها فى ساحة المسجد . وقد استغرقت هذه التوسعة ما يقرب من العامين والنصف تقريبا(٤٢) . وقد حرص المنصور على توخى العدل والالتزام به ، حينما أقدم على شراء هذه الدور من أصحابها ؛ حتى لا يحيق ظلم أو غبن بهم . من ذلك أنه راعى أن يكون شرائها عن طيب خاطر من صاحبها ، كما أنه ترك له الحرية فى طلب المبلغ الذى يرغبه(٤٣) .

ومن أعماله الانشائية كذلك انشاء القصور والمدن فى الانحاء التى تتميز بحسن طبيعتها واعتدال مناخها داخـــل الدولة الاســـلامية فى الأندلس • وكانت الصفة الغالبة على هذه القصور هى جمال التصميم وحسن التنفيذ • ومن هذه القصور قصر الزاهرة على نهر قرطبة وقد أطلق عليه اسم قصر الزاهرة نسبة الى المدينة ، التى قام بتأسيسها المنصور سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م شمال شرق قرطبة لتكون مقرا له • وكذلك انشاء قنطرة قرطبة على نهر قرطبة سنة ٣٧٨هـ ، وذلك لتخفيف الضغط على القنطرة التى قام بانشائها عبد الرحمن الداخل ، والتى تعرضت للسقوط عـــدة مرات ، بسبب جرف السيول لها • وقد ربطت هذه القنطرة شمال قرطبة بجنوبها ، وبذلك سهلت حركة مرور السكان من جهة الى أخرى • ومن أعمال المنصور أيضا انه قام باعادة بناء قنطرة مدينة طليطلة سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م وكانت قد هدمت بأمر الأمير محمد بن هشام من حفدة عبدالرحمن الناصر والملقب بالمهدى ، وذلك انتقاما من أهلها الثائرين عليه(٤٤) • وأمر المنصور ببناء قنطرة نهر اشتجه وهو نهر شنيل ، فســـهل بذلك الطريق الوعرة والشعاب الصعبة(٤٥) •

ولم تقتصر أعمال المنصور محمـــد بن أبى عامر العمـــرانية على الانحاء الواقعة داخل الدولة الاسلامية فى الأندلس ، بل امتـــدت الى الأجزاء التى فتحها فى بلاد النصارى فى الشمال • ويتضح ذلك من أنه عندما حضرته الوفاة ، كان بحضرته صاحب كوثر الفتى ، فرآه باكيا فسأله قائلا « مم تبكى يا مولاى لا بكت عيناك ؟ » قال : « مما جنيت على بلاد المسلمين • فلو قتلونى وأحرقونى ما انتصفوا منى » فســـأله متعجبا قائلا له « وكيف ذلك ، وأنت أعززت الاسلام وفتحت البلاد ، وأذللت الكفر ، وجعلت النصارى ينقلون التراب من أقصى بلاد الروم الى قرطبة حين بنيت بها جامعها ؟! » فقال له : « لما فتحت بلاد الروم ومعاقلها عمرتها بالأقوات من كل مكان وبنيت بها حتى عادت فى غاية الامكان ، ووصلتها ببلاد المسلمين ، فأوصـــلت العمـــارة » ثم أبدى مخاوفه ممن سيخلفه فى عدم قدرته على المحافظة عليها ؛ لانشغاله بملذاته الشخصية ، الى أن قال : « فيجىء العدو فيجد بلادا عامرة حاضرة ، فيقوى بها على محاصرتها ، فلا يزال يتغلبها شيئا فشيئا ، ويطويها طيا

حتى يملك أكثر هذه الجزر ، ولا يترك فيها الا معاقل يسـيرة . فلو الهمنى الله فى تخريب ما تغلبت عليه ، واخلاء ما تملكت ، وجعلت بين بلاد المسلمين وبلاد الروم عشرة أيام فيافى وقفارا ، لايزالون لو راموا سلوكها حيارى ، فلا يصلون الى بلاد الاسلام الا بعد جهد ومشقة»(٤٦).

ومن اعمال المنصور أيضا أنه اعاد بناء مدينة سلا ، وهى رباط من ربط المسلمين.وكانت قد تخربت على يد المارقين عن الاسلام (برغواطة) فأمر المنصور باعادة بناء أسوارها ، وبنى فيها مارستانا فخما ، وقصرا لمقر الجند ، كما بنى بها جامعا بديعا ، وقاعة للصلاة مزينة باللازورد، والفسيفساء ،والنوافذ الزجاج الملون(٤٧) .

تنظيم الجيش :

بعد أن استتب الأمر للمنصور محمـد بى أبن عامر فى الدولة الاسلامية فى الأندلس ، أدرك أنه هو المسئول الأول عن بقائها وحمايتها. ورأى أن من أول واجباته العنـاية بالجيش ، لأنه عمـاد الدولة الأول والركيزة الأولى التى تعتمد عليها فى بقائها وقوتها . لذلك حرص المنصور ابن أبى عامر على بناء جيش قوى متماسك يتناسب قـوة وعـددا مع الجيوش الاسبانية النصرانية المعادية للدولة الاسلامية والمعارضة لقيامها وكان أن فتح باب التطوع للانضمام الى الجيش الاسلامى وجعل الدخول فيه متاحا لجميع أفراد طبقات المجتمع الأندلسى الاسلامى ، كما قام بالغاء النظام الذى كان معمولا به من قبل فى الجيش وهو نظام التجنيد الاجبارى ، وأحل محله نظام التطوع ، بحيث ترك حرية الانخراط فى الجيش للأفراد . وقد أعلن المنصور ذلك بأمر أصدره سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م بعد عودته من احدى غزواته فقال : ان من تطوع خيرا فهو خير ، ومن خف اليه فهو مبرور ومأجور ، ومن تثاقل فهو معذور(٤٨) . وكان لهذا النظام أثره فى نفوس أهل الأندلس اذ سارعوا بالانضمام الى الجيش ؛ رغبة فى نيل الأجر والثواب من عند الله . وكان لذلك أثره البالغ فى صدق جهادهم ، وتفانيهم فى مواجهة الأعداء .

كذلك عمل المنصور على ازالة النظام التقليدى المعمـول به فى

الجيش ، والذى كان يعتمد على زعماء العرب والبربر ، الذين استقروا وسط المزارع فى قلب البلاد ، فى وضع اقرب الى ما هو معـــروف فى النظام الاقطاعى · ويسمح لهم باستثمار الأرض مقابل النهوض بمهمة القتال والجهاد ومعهم اتباعهم ، عندما يدعوهم الأمير الى ذلك ، وعندما ينتهى القتال يعودون الى مزارعهم بما حصلوا عليه من مغانم(٤٩) وقد أدى ذلك النظام مع مرور الوقت الى نشـــأة تكتلات عسكرية ذات طابع سياسى فأصبحت مناطق اقامتهم شبه مستقلة عن الدولة واشعلوا كثيرا من الثورات وحركات التمرد · وصحب ذلك ظهور نزعات اســـتقلالية وانفصالية ، كادت أن تودى بوحدة البلاد وأمنها ، لولا أن تدارك هـــذا الأمر المنصور بن أبى عامر وعمل على الغائه ·

ومن الملاحظ أن المنصور تحاشى الاعتمـــــاد على طبقة الصقالبة كعنصر فعال فى الجيش بعد أن قويت شوكتهم فى زمن الحكم المستنصر، فعمل المنصور على أبعادهم وعمل جيشا موحـــــدا متماسكا يتألف من جميع فئات أهل الأندلس ، وبذلك يقضى على النزعات القبلية العنصرية داخل الجيش(٤٩) ·

اهتمامه بالقضـــاء :

ومن النظم المهمة فى الدولة ، التى اختصها المنصور بالكثير من عنايته واهتمامه ، نظام القضاء ، اذ عمل على ضبطه وسيره فى الوجهة الصحيحة · ذلك أنه تصدى لكل من حاول الاخلال بالقضاء ، أو ادخال شىء مناف عليه · يذكر المقرى عن المنصور أنه سد باب الشفاعات ، وقمع أهل الفسق والزعارات ، حتى ارتفع البأس وأحس الناس بالأمن ، وأمنت البلاد عادية المجرمين(٥٠) · وقد أولى اختيار القضاة جل اهتمامه ، وتوخى فيهم حسن السلوك ، وحسن السيرة ، رغبة منـــه فى اشاعة العدل بين أفراد مجتمع الدولة الاسلامية · وكان اختياره للقاضى يقوم على أساس كفاءته التامة ونزاهته المطلقة ودرجة علمـــه · كذلك كان حريصا على فصل السلطة الزمنية عن السلطة القضائية ، بحيث منـــع التدخل فى شئون القضاء منعا باتا مع معاقبة من يثبت تدخله فى سير القضاء ، مهما يكن منصبه ، أو مكانته فى الدولة ·

اهتمامه بالثقافة والعلم :

أما عن الناحية الثقافية والعلمية فى البلاد زمن حكم المنصور محمد ابن أبى عامر ، فقد احتلت الثقافة أهمية كبرى فى نشاطه ، ولم تشغله عنها أعباء الحكم ، أو جهاده المتواصل ، فكان محبا للعـــلم والعلماء ، كثير اللقاء بهم ، والاستماع الى آرائهم ، الى جانب احترامه واهتمامه باهل العلم والأدب والشعر(٥١) وقد خصص لهم أماكن مســـتديمة فى مجلسه • ويحكى عنه أن له تذوق للأدب والشعر ، حيث كان يفرق بين جيده ورديئه ، بحيث كان يمتحن قدرة الشعراء ، وموهبتهم الشعرية قبل السماح لهم بالقاء قصائدهم أمامه(٥٢) وكانت مكتبته زاخرة بكتب العلم والأدب والثقافة،كما أنه أسند الى العلماء وظائف القضاء والتدريس فى مسجد قرطبة الجامع(٥٣) • والمعروف عن المنصور بن أبى عامر أن نشأته منذ صغره كانت فى بيت علم ، وأدب ، وشعر •

★ ★ ★

وقد حظيت شخصية (المنصور بن أبى عامر) باهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين ، واختلفت وجهات النظر حول الحكم على هـــذه الشخصية الفريدة ، ما بين مادح لها ، وطاعن فيها • ونحاول نحن خلال الصفحات التالية عرض هذه الآراء ، وبيان وجه الحقيقة فيها •

أولا : مصادر اشادت بالمنصور بن أبى عامر :

١ ـ **ابن حيان :** وصف المؤرخ ابن حيان جهاد المنصـور المشرف ؛ لأجل اعلاء كلمة الله فى عبارة ، نقلها عنه ابن عذارى ، وفيها يقـــول « تمرس المنصور ببلاد الشرك أعظم تمرس ، ومحا من طواغيتها كـــل متعجرف ومتغطرس ، وغادرهم صرعى البقاع ، وتركهم أذل من وتد بقاع ، ووالى على بلادهم الوقائع ، وسدد الى أكبادهم سهام الفجائع ، وأغص بالحمام أرواحهم ، ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم»(٥٤) •

٢ ـ **الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء بنى زيرى بغرناطة :** قال هذا الرجل فى مذكراته عن المنصور : « وعلى الرغم من أن المنصور لم يكن من أسرة عريقة بالملك ، فانه حصل على ذلك بدهائه وعبقريته ،

وتدرجه فى المناصب ، وحسن تدبيره فى الدولة ، وأيضا كثرة غزواته وانتصاراته على النصارى ، والتى كانت تقابل باستحسان لدى أهـــل الأندلس ... » الى ان يقول « وقد نال الاسلام فى عهده بالأندلس عـزا ونصرا ، لم تشهده الاندلس من قبل ، ووصل بالمسلمين الى بلاد النصارى وما كان لاى حاكم قبله ان يصل اليها »(٥٥) .

٣ ـ **المؤرخ ابن عذارى :** أعجب هذا المؤرخ بشخصية المنصـــور ، ووصفه بصفات جليلة ، ورفع قدره بين الحكام والملوك ، وذلك فى رواية يقول فيها « كان المنصور بن أبى عامر متسما بصحة باطنه ، واعترافه بذنبه ،وخوفه من ربه ، وكثير جهاده . واذا ذكر بالله ذكر ، واذا خوف من عقابه ازدجر . وكان يكثر من قراءة القرآن الكريم ، ومايزال متنزها عن كل ما تغن به الملوك . وكان يهتم بالعلماء ، ويعلى مراتبهم ويجزل العطاء لجنده وكان ذا عقل بصير بالحرب»(٥٦) .

ثانيا : باحثون محدثون أشادوا بابن أبى عامر :

١ ـ **محمد عبد الله عنان :** وقد ذكر هذا الباحث خلاصة ايجابيات وانجازات المنصور ، فذكر أنه كان قائدا مغوارا ، أنشأ فى الأندلس جيشا منظما ، حارب به أعداءه (نصارى الاسبان) وأن أيامه فى الأندلس كانت أياما خالدة ، ساد فيها الأمـــن والاســـتقرار ، وازدهرت فيها التجارة والصناعة ، وتقدمت فيها العلوم والآداب ، وكثرت الأموال فى خزائن الدولة فى عهده(٥٧) .

أما بخصوص اهتمامه بالعلوم والفنون ، فقد كان يشجع العلوم والفنون ، وقام بانشاء دور العلم . وكان يقوم بزيارات للمدارس والحلقات العلمية فى المساجد ، كما أنه كان يمنح المكافآت لمستحقيها من طـلاب العلم . وأثر عنه كثرة مجالسته للعلماء ومناظرتهم ، اذ كان له فى كل أسبوع مجلس يجتمع فيه مع العلماء ، والادباء والشـــعراء ، للمناظرة والبحث(٥٨) .

٢ ـ محمد لبيب البتانونى : أشاد هذا الباحث بشخصية المنصور ، وامكاناته الأدبية الفائقة ، ومهاراته وبعد نظره فى سياسة البـــلاد فى

عهده ، فيقول « وكان من اكبر ملوك الأندلس سلطانا وفضلا ، وعلما وحسبا . له فى السياسة اليد الطولى ، وفى ادارة الحكم القدرة الفائقة. وكانت له مميزات فى صفاته وبعد نظره ، وفكر ماهر وقدرة كبيرة على تحمل الشدة(٥٩) .

٣ ـ المؤرخ الأسبانى ماسديه : أعجب هذا الباحث الغربى بقدرات المنصور السياسية ، ونجاحه فى توحيد مملكته ، وقوة شخصيته ، وحسن معاملته لمن استسلم لجنده من أهالى المدن النصرانية التى تم فتحها على يديه ، ويعبر عن ذلك بقوله « كان المنصور سياسيا كبيرا وقائدا عظيما ، أخمد الثورات التى كانت تعصف بمملكته . واكتسب محبة الشعب بجميع طبقاته ، وبرز فى شهرته وهيبته على كثير من القواد ، بما اجتمع فى أحكامه من الصراحة واللين ، والقصاص والعفو . وكان يهدم المدن التى تقاوم جيوشه ويبيدها ولكنه لم يسمح ـ قط ـ لجنـــده أن تسىء معاملة مدينة سلمت طوعا»(٦٠) .

٤ ـ المؤرخ منندیث پیدال : قارن هذا الرجـــل بين حال الدولة الاسلامية بالأندلس أيام المنصور بن أبى عامر وما وصلت اليه من مج وفخار ، وبين ما انحدرت اليه ممالك النصارى فى الشـــمال من ضعـ وهزال .وقد وصف هذا الوضع بقوله : « عاش الاسلام فى أسبانيا أرفع أيامه وأسطعها ، وانتهى نصارى الشمال الى حالة دفاع ، وكانت أيامهم مقرونة بالمحن . ولاح كأنهم لم يعيشوا الا لتأدية الجزية ، والســـلاح ، والأسرى . والمجد للخلافة الأموية »(٦١) .

★ ★ ★

على أن التاريخ لا ينظر الى الأمور من زاوية واحدة ، وعلى ذلك لابد من الاشارة الى الرأى الآخر فى حكمه على المنصور . ويكون ذلك بتحديد الاتهامات التى وجهت الى المنصور ، والمآخذ التى أخذت عليه .

الاتهام الأول ـ أنهم المنصور بأنه اغتصب حكم بلاد الأندلس لنفسه، وحكم البلاد حكما مركزيا مطلقا . وذلك بأن حجر على الخليفة الشرعى (هشام بن الحكم) حتى أصبح هو الآمر الناهى فى كل صغيرة وكبيرة

من شئون الدولة ، وهكذا غدا شبيها بأمير الأمراء فى بغداد وقد وصف ابن عذارى(٦٢) المنصور بأنه استأثر بكل سلطان الخليفة ، ولم يعد يكلف نفسه مجرد استشارة هشام ، أو اعلامه بما يجرى حوله ، كما اعتاد أن يفعل فى السنوات الأولى من حكم هشام المؤيد « لقد قصر الخليفة من جميعه ،وصيره بمعزل عن سامعه ومطيعه ، وشد باب قصره عليه ، وجد فى خبر ألا يصل اليه • وجعل من يثق به من صنائعه على باب القصر ، لضبط حركة الدخول والخروج وأوقف الحراس والبوابين ، يلازمونه ليل نهار • أما الخليفة هشام فهو خفى الذكر ، عليـــل الفكر ، محجوب عن الأحباب لا يراه خاص ولا عام ، ولا يعهد اليه الا الاسم الســـلطانى فى السكه والدعوة ، وقد نسخه ، ولبس أبهته ، وطمس بهجته ، وأغنى الناس عنه ، وأزال اطماعهم منه ، وصيرهم لا يعرفونه» •

وهذا القول مردود عليه بأن المنصور رأى صغر سن الخليفة هشام وبلاهته ، وضعف عقله ، فقدر أن ظروف الدولة الحرجة أمام الصراعات فى الداخل ، وتربص الأعداء فى الخارج ، لا تحتمل ترك مقدرات الأمة الأندلسية فى يد طفل صغير •

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن المنصور(٦٣) ـ عزل هشاما ، وحجبه عن شئون الدولة برضاء أمه ، اذ كان الخليفة مشغولا بمعاشرة القيان والجوارى والخدم ، مما أفسد خلقه ، وأضعف رجولته ، وحد من قدراته العقلية • فأنى له أن تكون مقاليد الدولة بيديه ؟!

الاتهام الثانى : أن المنصور تزوج من (أسماء) وهى ابنة القـــائد الغالب عبد الرحمن(٦٤) ، مستهدفا المكر والخديعة ، والوصـول الى أطماعه الشخصية •

ويرد على ذلك بأن المنصور لم يســـتهدف من ذلك الزواج المـــكر والخديعة ، وانما اراد ابطال ما كان يدبره الحاجب (جعفر المصحفى) ، الذى كان ينوى تزويجها الى ابنه (عثمان) ، لتحقيق شىء من التفاهم والوئام بينه وبين القائد غالب ابن عبـــد الرحمن ، عن طريق هـــذه المصاهرة ، والتى عن طريقها يتم التحالف بين هـــذين الرجلين ضد

الخليفة هشام بن الحكم ، فيعملان معا على انتزاع السلطة منه ٠ وكان المنصور يخشى قيام حروب وفتن فى البلاد ، لوجود منافســين آخرين لهما ، مما سيؤدى الى اضطراب أمور الدولة ٠

فأراد المنصور أن يسبقه الى الزواج من ابنة غالب ، ليقطع دابر الفتنة ، ويئدها فى مهدها ٠

الاتهام الثالث :

اتهم المنصور بعدم الانسانية ، وباتخاذ كافة السبل والوسائل غــير الاخلاقية ، لأجل تحقيق مصالحه الذاتية ٠ وأنه كان يسعى للوصول ولو على جثث الآخرين ٠ ومن ذلك : اشتراكه مع القائد غالب بن عبدالرحمن فى غزوة (الصائفة ، والشاتية) ضد النصارى بمدينة (مجريط) ٠ورغم أن النصر تم على يد غالب الا أنه نسب الى المنصور ٠ وتم ذلك بناء على اتفاق أبرم بينهما ، يتم بمقتضاه قضاء المنصور على الحاجب (جعفر المصحفى) ٠وكان ذلك عن طريق تقريب الخليفة هشام للمنصور ، لما علمه من تحقيق النصر على يديه ، ولما جلبه من غنائم وسبى ٠ وكانت نتيجة هذا التقارب ايقاع المنصور بين هشام والمصحفى ٠ ونجحت الوقيعة بأن أصدر هشام أمرا بعزل المصحفى من رئاسة الشرطة والمدينة ، واسناد ذلك الى المنصور ٠ هذا بالاضافة الى ما قام به المنصور من تعذيب وسجن ونهب لآل المصحفى ، حتى هلك المصحفى فى السجن ذليلا ٠

ويرد على ذلك بأن هناك عوامل دفعت المنصور الى التخلص من المصحفى أهمها عاملان :

الأول ــ استبداد المصحفى بالسلطة فى الدولة بحكم مركزه فيها ٠ اذ كان يعد الرجل الحقيقى الأول فيها ٠

الثانى ــ نقمة المنصور عليه ، واتهامه اياه بالتقصير فى الدفاع عن ثغور الأندلس ، ومواجهة اعتداءات النصارى على المسلمين الآمنين ٠ لقد استنجد بالمصحفى أهل قلعة (رباح) ؛ لانقاذهم من ملك ليون (روميرالثالث ٣٥٥ ــ ٣٧٢هـ) ، الذى زحف بقواته على ذلك الثغر الاسلامى بمساعدة ادارة قشتالة ، فعاثوا فى الأرض فسادا ٠ ولكن المصحفى وقف

موقفا سلبيا من هؤلاء المستضعفين رغم ما يملكه من عتاد ورجال وأموال. وكان كل ما نصحهم به ان يهدموا سد نهر (آنه) ، لتحـول مياهه دون عبور الأعداء اليهم . لذلك رأى المنصور ضرورة عزله لتهاونه وعدم قدرته على حماية بلاد المسلمين .

الاتهام الرابع :

اتهم ابن أبى عامر بأنه رجل متعطش الى سفك الدماء ، مخادع ما كر على استعداد لعمل أى شيء في سـبيل الوصـول الى أغراضـه ومطامعه ، وأن صيرورة أمر هذه المملكة الأندلسية اليه بعـد أن كان عبد الرحمن الناصر قد حقق لهـا وحـدتها ، أدى بها الى الضـعف والانحلال(٦٥) .

لقد قال البعض فى المنصـور أنه كان ميكافيلليا قبـل أن يولد ميكافيللى بقرون ، وأدرك أنه فى سبيل الوصول الى الحكم لابد من أن ينحى الضمير والوازع الأخلاقى جانبا . ولذا فانه قتـل كل من كان يخشاه من أمراء البيت الأموى فى الأندلس . ولم يكتف المنصور بذلك ، بل كان يقضى على مراكز القوى الثانوية التى تنافسه . فمثلا قضى على عبد الرحمن ابن مطـرف التجيبى من عائلة هاشـم ، وكان يحكم (سرغوسه) (٦٦) .

ويرد على ذلك بأن المنصور ادرك ان كل أمير فى البيت الأموى يطمع فى أن تكون الخلافة له من دون هشام بن الحكم ، فرأى ضرورة التخلص منهم ، لأن وجودهم سيؤدى الى اشعال الفتن والحروب الأهلية فى الدولة ، ويوجه نظر أعدائها من الاسبان نحوها ، بغرض الاستيلاء عليهـا .

لقد كان الخليفة هشام غير قادر على تحمل مسئولية الخلافة اذ كان يعيش لملذاته الخاصة . وقد وصفه ابن سعيد بأنه (نشأ جامد الحركة، أخرس الشمائل ، لا يشك المتفرس فيه أنه نفس حمار فى صورة آدمى) الى أن قال عنه : (وكلما زاد سنا نقص عقلا) بل مما يدل على سذاجته وبلاهته الشديدة ، أنه عندما خلفه الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار

على اثر تنازله عن الخلافة بعبد الرحمن بن المنصور،لم يكن يشغله فىدلك الحدث الجلل الا طائره (الهدهد) الذى كان يتولى العناية به ، حيث قال لاحد غلمانه : بالله انظر هدهدى ان كان سلم ، وتفقـــده لئلا يهلك بالجوع والعطش فانه من ذرية الهدهـــــد الذى دل سليمان على عرش بلقيس(٦٧) • هذا الخليفة المعتوه كان من السهل خلعه ، وانتزاع امراء بنى أمية فى الأندلس عرشه ، ولذا كان لابد من موقف صارم لابن أبى عامر تجاه بقاء هشام فى الحكم(٦٨) •

اما ما يتعلق بحكام منطقة (سرغوسة) ، فقد خشى المنصور أن تثير هذه الأسرة الحاكمة القلاقل والفتنة داخل الدولة الاسلامية بالأندلس، خاصة اذا عرضنا تواطؤ حكامها وتعاملهم مع النصارى أعداء المسلمين فى مقاطعة الشمال الذين كانوا لا يتوانون فى القضاء على الاسلام ودولنه•

الاتهام الخامس :

يؤخذ على المنصور تخليه عن العنصر العـــــربى ، واعتماده على العنصر البربرى ، والصقالبة فى الجيش •

ويرد على ذلك بأن المنصور لم يتخل عن العنصر العربى تماما فى الجيش وانما حد من أعدادهم لازالة العصبية القبلية عن الجيش ، حيث ان الجيش فى عهد خلفاء بنى أمية فى الأندلس قبل تسلم المنصور زمام الأمور ـ كان يتألف من العنصر العربى فقط ، أو لعل هذا العنصر كان هو العنصر الغالب فى الجيش ، مما سبب الفوضى ، وأوجد الحزازات والعصبية داخل الدولة • وقد رأينا أن المنصور ، عمل ليجعل الجيش جيشا نظاميا ولذا أدخل فيه عناصر بشرية متباينة من تلك العناصر المكونة للمجتمع الأندلسى ، وقسم الجيش الى فرق متعددة كل فرقة تعبر عن أحد العناصر المتباينة التى تألف منها المجتمع الأندلسى كالبربر ، والعرب والصقالبة(٦٩) •

وجدير بالذكر أن المنصور نكب صقالبة القصر ، وأن ذلك العمـــل رفع من قدره فى نظر الأندلسيين عموما ، وأهالى قرطبة خصوصا،لأن الجميع كرهوا تلك الفئة الدخيلة المتغلبة على شـــئون القصر والبلاط •

الاتهام السادس :

وصف المنصور بن أبى عامر بالجبروت والعسف : نتيجة قتله ابنه وفلذة كبده : عبد الله · ونحن لانستطيع ـ ولا نقر ـ له عذرا فى مثل هذا التصرف الأخرق ، ولكن نترك المنصور نفسه يبرر تصرفه فيقول : ان ابنه عبد الله تآمر عليه مع خصومه التجيبيين أصحاب الثغر الأعلى ، كما تآمر مع خصوم أبيه فى فرطبة والزاهرة ، وذلك بالتجائه الى عدو المسلمين (غرسيه) كونت قشتالة ، الذى كان يكن الحقد والكراهية لأبيه ـ لقد أقدم المنصور على التخلص من ابنه ليحد من مؤامراته ، التى كانت تهدد بالقضاء على دولته وعلى دولة الاسلام فى الأندلس · وكان المنصور يدرك جيدا نوايا ابنه الخبيثة ، وما يدبره له من مكايد · وقد أفصح عن ذلك لأحد أعيان البربر (طرزون بن زنراء البرازالى) ، وعندما استنكر عليه قتل ابنه ، فقال « لا يسؤك ذلك ، فلو لم أفعل لقلتنى »(٧٠) ·

الاتهام السابع :

يؤخذ على المنصور فى مجال الحياة الثقافية أنه كان يكره الفلسفة والفلاسفة ، ولا يأنس الى علماء الفلك والتنجيم · وقد عبر عن نهجه هذا بصراحة ، حين أخرج بعض ما كان فى خزانة الخليفة الحكم المستنصر من نوادر المؤلفات الفلسفية والعقلية ، وأحرقها بمحضر عـــدد من أكابر الفقهاء والعلماء ·

ويرد على ذلك أنه ربما أحس بأن بعض كتب الفلسفة التى أحرقها كان فيها ما يخالف الدين وعقائده · وكان المنصور يحرص على الظهور بمظهر المدافع عن الدين كما كان حريصا على استحباب رضاء العلماء ، وكسب تأييد عوام الناس فى قرطبة(٧١) ·

الاتهام الثامن والأخير :

أخذ على المنصور أن فتوحاته لبلاد النصارى لم يرافقها استيطان للمسلمين فى تلك البلاد المفتوحة · ولو أنه حقق ذلك الاستيطان ، لصعب على النصارى استردادها بعد ذلك ·

ويرد على ذلك بأن ظاهرة الاستيطان ترتبط بالعامل النفسى عند الجنود المسلمين المحاربين فى جيش المنصور ، اذ من الواضح أنهم كانوا لا يرغبون فى الاستيطان فى تلك المناطق لعدم تأقلمهم وفق طبيعة تلك البلاد ، الى جانب احساسهم بأن بقاءهم فيها لا يدوم ، وربما تعرضوا للافتتان عن دينهم عند استرجاع النصارى لبلادهم(٧٢) .

★ ★ ★

وأخيرا فاننا فى حكمنا على المنصور محمد بن عبـــد الله بن أبى عامر وتقويمنا له ، نرى :

١ ـ لا نستطيع أن ننكر المواهب والكفاءات والمهـــارات السياسية والقيادية ، التى تمتع بها المنصـــور ، والتى أهلته لكسب ثقة الحكم المستنصر ، وجعلته يتدرج فى المناصب المهمـــة التى ترقى اليها ، حتى وصل الى مرتبة الحاجب ، منافسا غيره من رجالات الدولة الكبار ، وعلى رأسهم (جعفر المصحفى) .

٢ ـ ولا ننكر ـ أيضا ـ أن الظروف خدمت المنصور للوصول الى ما وصل اليه من مجد . ذلك أنه لم يكن من أهل بيت ملك فى عصر كان العظماء يتوارثون الملك كابرا عن كابر . فسعادة جده (حظه)(٧٣) مع ذكائه الفذ ، كل ذلك مكنه من الوصول الى أهدافه ، عن طريق التخطيط السليم ، متخطيا كل العقبات التى صادفت طريقه ، سواء تخطاها بسبل شرعية أم غير شرعية .

٣ ـ اذا كان يحسب للمنصور أنه صان وحـــدة الأندلس وحقق له الاستقرار تحت قيادته ، وحمى بلاد المسلمين من غزو النصارى لها ، بل لقد فتح كثيرا من بلادهم فى الشمال ، حتى غدا مصـــدر رعب وفزع مستديم لهم(٧٤) الا أنه كانسان اجتهد فى سياســـته ، فأصاب أحيانا ، وأخطأ حينا . ويمكن تركيز خطأه فى مسألتين : احداهما داخلية ـ وذلك بالاكثار من استخدام البربر فى ديوان جيشه ، اذ تذكر المصادر أن عددهم بلغ ما يقرب من ثلاثة آلاف فارس(٧٥)، حقيقة أنه كان يستهدف تقوية

الجيش الاسلامى المجاهد بهم ، ولكن ذلك أثار حقد العرب عليه ، وامتد هذا الحقد الى ما بعد وفاته ، وظهرت نتائجه فى عهد ابنه عبد الرحمن (شنجول) ، مما كان سببا فى اشعال الفتنة بين أهالى قرطبة والبربر ، وأدى ـ فى النهاية ـ الى سقوط الدولة العامرية بالأندلس .

والثانية خارجية ـ وهو خطأ اعترف به المنصور نفسه ، اذ حرص على المحافظة على البلدان والمدن والحصون التابعة لنصارى الشمال عندما قام بغزوها والاستيلاء عليها ، رغبة منه فى استفادة المسلمين منها فيما بعد . وبدلا من أن يعمل على تخريبها وفقا لروح العصر قام بتعميرها ، وخزن الأقوات بها ، تسهيلا لاستمرار الفتوحات الاسلامية للبقاع النصرانية . فلما ضعفت الدولة الاسلامية بعد ذلك ، كانت تلك المناطق عونا للنصار فى الاغارة على الثغور الاسلامية فى الأندلس .

★ ★ ★

وبعد ، فاننا لا يسعنا فى ختام هذا البحث سوى أن نردد ما نقش على قبره من شعر بعد وفاته وذلك اشادة بما قام به من أعمال جليلة فى خدمة الاسلام والمسلمين :

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يتأتى الزمان بمثله ... أبدا ولا يحمى الثغور سواه(٧٦)

الهـــــوامش

(١) المراكشى : المعجب ص ٧٣ ٠

(٢) ذكر ياقوت أن طرش ، بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضا ، ناحيـــة بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى ٠

(٣) ابن بسام : الذخيرة ١/٣٩ ـ ٤٠ ٠

أحمد العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٤٢ ٠

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر السابق ٢ ص ٧٧ ـ ٧٨ ـ نفس الصفحة ٠

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ق٢ ص ٧٧ ـ ٧٨ ٠

(٦) ديوان ابن دراج القسطلى ، ص ٣٠٠ ٠

(٧) ابن حيان : المقتبس ص ١٢٣ ٠

(٨) المقرى : نفح الطيب ١/١٨٧ ٠

(٩) ابن عذارى : البيان المغرب ٢/٢٦٨ ٠

(١٠) ابن حيان : المقتبس ص ١٢٣ ٠

(١١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٧٨/٧٧ ٠

(١٢) الدرقة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب (أى : ولا غصب تعمل من الأوتار) ٠

والمقصود : المسئول عن التروس المصنوعة من الجلد الخالص ٠

(المعجم الوسيط مادة (د٠ر٠ق ـ ح/ص٠ ٢٩٠) ٠

(المعجم الوسيط مادة ع٠ق٠د ـ ح ٢ ص ٦٣٦) ٠

(١٣) نفح الطيب (دار صادر) : ١/٤٠٩ ـ ٤١٠ ٠

(١٤) السابق : ١/٤١٠ ٠

(١٥) السابق : ١/٤١٦ ٠

(١٦) المقرى / نفح الطيب ١ /٤١٣ ـ ٤١٨ ٠

(١٧) ابن عذارى / البيان المغرب ٣/٢٥٨ ٠ والاحاطة ٢/١٠٣ ـ ١٠٤ ٠

(١٨) المقرى/نفح الطيب ١/٤١٨ ـ ٤١٩ ٠

(١٩) مخطوط الزهرات المنشورة فى نكت الاخبار المأثورة/ابن سماك تحقيق : محمود على مكى ص ٨٣/٨٤ ٠

(٢٠) نفس المرجع السابق ٠

(٢١) نفس المرجع السابق ، ص ٨٥ ٠

(٢٢) المقرى/نفح الطيب ١/٥٩٧ ٠

(٢٣) ابن عذارى/البيان المغرب ٣/٢٥٨ ٠

ابن سماك المرجع السابق ٠

(٢٤) مذكرات الأمير عبد الله ، ص١٥ (طبعة دار المعارف ـ تحقيق : بروفنسال)٠

(٢٥) ابن دراج القسطلى/تحقيق محمود على مكى ص ١٦ ٠

(٢٦) عبد المجيد نعنعى/تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس ص ٤٤٦ ٠

المقرى/نفح الطيب ١/٥٩٨ ٠

(٢٧) ومنهم ابن دراج القسطلى حين قال للمنصور عندما كان مودعا اياد فى احدى غزواته :

سـر سار صنع اللـه حيث تسير قـدما وسـاعد عـزمك المقـدور
وقضـى لك الرحمـن أنك قاهـر حـزب الضـلال وأنـه مقهـور
فانهض بحـزب اللـه يقدم جمعه حفـظ الالـه وسـعيك المشـكور

(٢٨) ابن خلدون العبر ٤/٣٢١ ٠

(٢٩) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١/٧٠ ٠

(٣٠) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ص ٥٢٩ ٠

(٣١) كان يرافقه فى هذه الغزوة ، فأعجب بشجاعته وبطولته فعبر عن شعوره ذلك بقوله :

أهـلا بمـن نصـر الاله وأيـدا وحمى مـن الاشـرار أمة أحمـدا

ديوان ابن دراج القسطلى ص ٥١ ٠

(٣٢) المقرى : نفح الطيب ٤١٣ ٠

(٣٣) ديوان ابن دراج ـ تحقيق محمود مكى ، ص ٣٧٣ وما بعدها (ط٢٠) ٠

(٣٤) اليعافير : جمع يعفور ، وهو الظبى لونه كلون العفر (التراب) ، أو هو ولد البقرة الوحشية ٠

(٣٥) أسار : الأسر ، والأسارى : الاسرى (جمع أسير) : م٠ الوسيط (مادة أ٠س٠) حـ١ ،ص ١٧ ٠

(٣٦) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام (ما أتى عليه حول منه) (السابعة: مادة/أ٠ل) ١/٣٣٢ ١/٢٦٢ ٠

(٣٧) الوثائق السياسية والادارية فى الأندلس وشمال افريقيا/تحقيق : محمد ماهر حمادة نقلا ن ابن الخطيب/تاريخ اسبانيا النصرانية ص ٧٢ ٠

(٣٨) المرجع السابق ص ٥٣١ ٠

(٣٩) أحمد مختار العبادى/تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ٠

(٤٠) ومما يؤثر عن شعره رحمه الله قوله :

رميـــت نفســـى هـــول كـــل عظيمة ... وخاطرت والحـــر الـــكريم بخاطـــر
وما صـــاحبى الاجتـــاف مشـــيع ... وأســـمر خطـــى وأبيـــض باتـــر
ومن شـــيمتى انى على كل طـــالب ... أجـــود بمـــال لاتقيـــه المعـــاذر

ابن الخطيب/الاحاطة ٢/١٠٤ . وانظر ابن الأبار/الحلة السراء ١/٣٧٥ـ٣٧٦٠

(٤١) ديوان ابن دراج (ط٢) تحقيق : د٠ محمود مكى ، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ٠

(٤٢) ابن عذراى : البيان المغرب ٢/٤٢٩ ٠

(٤٣) المقرى : نفح الطيب ١/٥٤٦ (ط٠ دار صادر) ٠

(٤٤) ابن عذراى : البيان المغرب ٢/١٤٤ ٠

(٤٥) نفح الطيب للمقرى حا ، ص ٤٠٩ ٠

(٤٦) أحمد مختار العبادى التاريخ العباسى والاندلسى ص ٤٥٦ ٠

(٤٧) الاسلام والمسلمون فى افريقية الشمالية ٠
عبد العليم عبد الرحمن خضر ص ٢٨٨ عالم المعرفة للنشر والتوزيع ٠

(٤٨) اعمال الاعلام : ابن الخطيب ص ١٠١ ٠

(٤٩) تاريخ الدولة الأموية بالأندلس : عبد المجيد نعنعى ، ص ٤٦٢ ٠

(٥٠) المقرى : نفح الطيب ٠

(٥١) البيان المغرب/ابن عذراى ٢/٤٢٠ ٠

(٥٢) مقدمة ديوان القسطلى للمحقق : د٠ محمود مكى ، ص ٤٢ ٠

(٥٣) تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس/عبد المجيد نعنعى ٠

(٥٤) البيان المغرب ٢/٢٧٤ ٠ وكذلك ورد فى (نفح الطيب) للمقرى ١/٤٠٣ ٠

(٥٥) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٥ ٠

(٥٦) البيان المغرب ـ المكان السابق ٠

(٥٧) الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، ص ٨٣ ، ٨٩ ٠
(مجلة المؤرخ العربى)

(٥٨) البيان المغرب لابن عذارى ٢٨٦/٢ والدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، ص ٨٩ ٠

(٥٩) رحلة الأندلس ، ص ٧٠ ٠

(٦٠) محمد عبدالله عنان : الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، ص٩٥.

(٦١) محمد عبد الله عنان : الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ص٩٥ نقل ذلك عن :

R.M. Pidal : La Espana del Cid, P. 72

والدولة العامرية فى الأندلس : دراسة سياسية وحضـــــارية ، لعلى أحمـــد القحطانى ، ص ١٠٧ ٠

(٦٢) البيان المغرب ٢١١/٢ ، ٢١٤ ٠

(٦٣) د٠ عبد المجيد نعنعى : تاريخ الدولة الأموية بالأندلس ، ص ٤٢٤ ٠

(٦٤) نفح الطيب للمقرى ، جا ، ص ٤٠٠ ٠

(٦٥) ابن الخطيب أعمال الاعلام ، ص ٧٧ ، وبطرس البستانى : معارك العرب الأندلسى، ص ٥ ، وأحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والأندلسى ، ص ٤٤ ٠

(٦٦) د٠ عبد المجيد نعنعى : تاريخ الدولة الأموية بالأندلس ، ص ٤٣٨ ٠

(٦٧) المغرب فى حطى المغرب ١٩٤/١ ـ ١٩٥ ٠

(٦٨) يقول ابن الخطيب عنه : « وكان هشام مندرجا فى طى كافله الحاجب المنصور رحمه الله بحيث لا ينسب اليه تدبير ، ولا يرجع اليه من الأمور قليل أو كثير ، اذ كان فى نفسه وأصل تركيبه ضعيفا مهينا مشغولا بالنزهات ، ولعـــــب الصبيان والبنات » (أعمال الاعلام ٥٨/٢ـ٥٩) ، ولا شك أن المنصور كان يسعد ويسجد لله عندما يسمع الروايات التى تروى عنه وسفه هشام٠وكان يقول ان السلطان الذى تصلح معه الرعية اثنان : اما سلطان قاهر ذو رأى ، عارف بما يأتى ويذر ، مستبد بنفسه ٠ واما سلطان مثل هذا (يعنى هشاما) تدبر الدنيا باسمه ، ولا يخشى المتفرغ لحراسة سلطانه نمائلة ٠ والمتوسط يهلك ويهلك « المغرب لابن سعيد ١٩٥/١ ـ ١٩٦ » ٠

(٦٩) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والأندلسى ، ص ٤٥٢ ٠

(٧٠) البيان المغرب ٨٨٥/٢ ٠

(٧١) نفح الطيب (تحقيق : احسان عباس ٢٢١/١) ٠

(٧٢) وقد قامت حملات تبشيرية على يد رجال الدين المسيحى ، وأرغموا فيها المسلمين على التنصير ولو ظاهريا .بعد سقوط غرناطة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م وعرفوا بـ/ (الموريسكيين) وطردوا من الأندلس نهائيا بعد فشل تنصيرهم ٠

(انظر تاريخ مسلمى الأندلس لعبد الله حله ، ص ١٧٢ ، وبحث د٠ عبد اللهجمال الدين (طرد المسلمين من الأندلس : آثارد ونتائجه) ٠

(٧٣) نثبت هنا ـ ما ذكره الأمير عبد الله من ارتباط نجاح المنصور بطالعه، رغم عدم اقتناعنا بذلك ، يقول قد حصل على عظائم بداعائه ومخرمته على العامة مع ما هيأت السعادة له ، وكانت أقوى الأسباب فى سلطانه وقد ذكر بعض أهل العـــلم بالتنجيم أنه من كان طالعه من البروج الحوت والقوس ، كان أعظـــم الأسباب فى سلطانه ، أو عقاره » (مذكراته ص ١٥) ٠

(٧٤) وقد سعد النصارى بوفاته وسجلت حولياتهم ما يلى : فى سنة ١٠٠٢م (٣٩٢هـ) (مات المنصور وذهب الى جهنم) ٠

(٧٥) البيان/المغرب ٤٢٨/٢ ٠

(٧٦) أعمال : الأعلام ، ص ٨١ ، نفح الطيب ٣٩٨/١ ٠